فلسفة أخلاقيات الحوار عند هابرماس

شريقي أنيسة

باحثة وعضو في مخبر تطوير سعيدة الجزائر تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبدالله موسى

المقدمة

نعتبر فكرة الحوار[**]الأخلاقي منهج رافق البشرية في مسيرتها وهي تنتقل من طور التخلف إلى أطوار الرقي والتحضر، وهو يعني تحكيم العقل في المشكلات التي تنشأ بين المجموعات الإنسانية، كما يعترف بوجود الآخر ولا يهدف إلى إقصائه، لأن الحوار في أصله لا يتأسس إلا بين شخصين أو أكثر. وما عرف عن الحوار أنه كان منهج الفلاسفة منذ القدم. وحاولت الحركة العقلانية في الغرب أن تطرح مسألة الحوار وتحاول أن تبحث فيه وهذا ما نجده حاضرا عند **يورغنهابرماس**، حيث نجد أن للحوار دورا أساسيا في فكره وهو يرتبط بجل أبحاثه مثل ربطها بالنظرية الديمقراطية والقانونية وإصراره على أولوية الحوار الأخلاقي .

قد حاول **هابرماس** في عرضه من نظرية الفعل التواصلي أن يصوغ نظريته للأخلاق وحاول عرض وعيه الأخلاقي والفلسفة الأخلاقيةوكان هذا هو غرضه الأساسي في مسألة الفعل التواصلي هو تحرير الفكر وربط الفعل بالأخلاق وأصبحت الأخلاق التواصلية من المحاور الأساسية في فلسفته وفي هذه المحاولة يهدف إلى إقامة إطار نظري نقدي لتكوين الإرادة الحرة العاقلة في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي[1] .

قام **هابرماس** بوضع نظريته الأخلاقية في العديد من الأعمال والمؤلفات الهامة ومنها "**نظرية الفعل التواصلي**" "**الأخلاق والتواصل**"، "**أخلاق المناقشة**" حيث أراد **هابرماس** أن يؤكد أن أي فرد لديه القدرة على المناقشة وبطريقة كلية ومباشرة، وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية معينة يضعها ويؤسسها الوعي الأخلاقي أو بالأحرى الأخلاق النظرية .

وفي هاته المحاولة يهدف **هابرماس** إلىإقامة إطار نظري نقدي لتكوين الإرادة الحرة العاقلة في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي هناك دور مهم جدا للغة والتواصل عبر اللغة في الحياة الاجتماعية والسياسية، وفي هذا تمكن **هابرماس** من إعادة بناء نظرية أخلاقية التواصل عبر اللغة، فاللغة هي الوسط الذي من خلاله يتفاهم المجتمع وهدفهم هو التواصل فقد أكد على أن اللغة تحيل إلى الإنفاق والقبول والتواصل والإختيار المستنير لجملة أفراد يتحاورون[2] .

حاول **هابرماس** تأسيس الأخلاق وفق النقاط التالية :

01 . إننا نتوصل إلى صيغة ضعيفة للتأسيس التداولي الترانسدنتالي للمبادئ الأساسية للأخلاق[3] بمجرد إمساكنا بالشروط الضرورية لكل تواصل في العالم المعيش ومن ثمة الإمساك بالشروط للأخلاق .

02 . إن تأسيسا نهائيا لمبادئ الأخلاق يتجاوز الصيغة الأولى ويعمل على التثبت فكريا من افتراضات القول البرهاني بوصفه شكلا تفكيريا للتواصل في العالم المعيش، صار مستحيلا وغير مجد في نهاية الأمر تلك هي المحطة التي يخلص إليها **هابرماس** وهي تنتمي إلى مبادئ أخلاقية .

03 . إن التأسيس النهائي للأخلاق ينبغي أن يستبدل باللجوء إلى الأخلاقيات التي كانت دائما منغرسة في بنية النشاط التواصلي التي بدونها سيختزل الفرد إلى مجرد تدمير ذاتي[4] .

سمات الحوار الأخلاقيعند هابرماس من بينها :

01 . انه غائي من منطلق أنه معني بـ " اختيار الغايات " و" التقييم العقلاني للأهداف " (التبرير والتطبيق)

02 . يقيم الحوار الأخلاقي الغايات عن طريق تقدير "ما يناسبني" أو" ما يناسبنا " ففكرة هذا الحوار الأخلاقي في المعادلة ترتبط بكل من تاريخ الحياة الفردية للشخص والحياة الجمعية للمجتمع ويطلق **هابرماس** على الخطابات المتعلقة بحياة الفرد "أخلاقية وجودية "

03 . هو احترازي فهو يتعلق بالسبل التي ننظم بها إشباع رغباتنا وغاياتنا مع النظر للسعادة ليس في الوقت الحاضر فحسب بل وفي المستقبل أيضا ولسعادتنا مع اعتبار كل شيء [5] .

04 . يبرز الحوار الأخلاقي القيم المرتبطة بتاريخ الفرد وبالتقليد وبالجماعة الثقافية التي ينتمي إليها هذا الفرد وبالنسبة **لهابرماس** إن مفهوم القيمة هو مكون رمزي أساسي للثقافة أو الحياة الاجتماعية وبالتالي عند القول إن القيم أساسية فيستحيل تحليلها إلى مكونات أبسط .

06 . إن فهم **هابرماس** لمفهومي الخير والقيمة يستند إلى سمة منطقية للحوار الأخلاقي أن النصائح والأحكام وترتيبات الأفضليات التي تنشأ في سيقها الحوار الأخلاقي يتمتع بصحة نسبية أو شرطية .

07 . الحوار الأخلاقي يعنى بفهم الفرد أو الجماعة لذاتها وسواء أكانت المسائل الأخلاقية تخص الفرد أو الجماعة فهي تعتبر مسائل تأويلية بصفة عامة إذ تهدف إلى إيضاح الذات واستكشافها .

هنا يكمن مبدأ الأخلاق ومن التفاهم والتواصل[6] والوصول إلى الإجماع حول مختلف القضايا ونجد أن المجتمع في حاجة إلى أخلاق تواصلية لأجل خلق شروط معيارية حول الحقيقة التي هي في حالة تحول دائم، وهذا بحد ذاته يشكل أساسا للمناقشة العامة التي تشكل الفعل التواصلي، ومنه نجد هدف **هابرماس** في مسألة الفعل التواصلي وتحرير الفكر وربط هذا الفعل بالأخلاق، ولذلك أصبحت الأخلاق التواصلية من المحاور الأساسية في فلسفته .

في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي دور مهم تلعبه اللغة[7] في التواصل فحاول إعادة بناء الفعل التواصلي عن طريق اللغة، فاللغة هي الوسط الذي من خلاله يتفاهم الذين يرغبون في التواصل، واعتبر أن لها ارتباطا بالفعل وهي الوسيلة الأساسية لما سماه بالأخلاق التواصلية[8]، والأخلاق التواصلية عنده تخلق من خلال التداول إطارا عقلانيا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة، وللتفاوض بين المصالح المتعددة ولا تحتاج إلى أي مبدأ مسبق لأنها تستند أساسا على المعايير الأساسية للخطاب العقلاني الذي يتعين افتراضه طالما أننا نتحرك داخل سياق للمناقشة وللتواصل

عندما يتكلم **هابرماس** عن أخلاقيات التواصل فهو يرى أن للتواصل معايير أخلاقية تبادل الأفكار والإدعاءات الصلاحية من خلال المناقشة، فكل ما هو عقلي عنده قابل للمناقشة، لأن كل دلالة مقترحة من طرف شخص ما تشكل قضية معنى وكل قضية معنى يمكن مناقشتها في إطار مقولة الصلاحية.

إذا كان يتعين علينا أن نبرهن على كل صلاحية انطلاقا من كل الحجج الممكنة، فإن الدلالات والتحولات نوع من الخطاب تصوغ فيه الأطراف المعينة إدعاءات للصلاحية تكون موضع خلاف وتحاول قبولها بواسطة البراهين وكل برهان يتضمن حجج مرتبطة بإدعاءات الصلاحية بتعبيرات الإشكالية فإن قوة البرهان تقاس بصحة الحجج وهذه الصحة تظهر من بين ما تظهر فيه من قدرة وتعبير معين على إقناع المشاركين في الحوار والمناقشة[9] .

وقد وضع شروطا للنقاش وهي: الصدق(صدق القضايا)، المسؤولية (مسؤولية المتكلم)، الحقيقة (حقيقة أو صحة المعايير المقترحة)، فهذه الشروط هي بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدودة تعتمد المناقشة العقلانية[10]، وعليه نجد تأكيد **هابرماس** على ضرورة إدخال الأخلاق في التواصل بين الناس، ذلك لأن النشاط التواصلي من زاوية التداوليات الصورية يساعد على إدراك الظواهر الأخلاقية داخل العالم المعيش، والحوار بهذا المعنى ضمن الشروط السابقة الذكر يعد ضروريا لكونه مفيدا للحياة الإنسانية في مجالاتها المختلفة في البيت والأسرة و العمل وتفاعله مع الآخرين .

والحوار بهذا المعنى ضروري له مع الآخرين كما مع نفسه، حيث تتحسن وتنتمي هذه الحدسية التواصلية الموجودة والكامنة ضمنيا وأصيلا في كل إنسان بانتمائه اللغوي والثقافي، لكن يجب إخضاعها للعقلانية النقدية[11].

حاول **هابرماس** تأسيس أطر أخلاقية وهذا لتواصل سليم وواضح ، وأن مرحلة المناقشة هي سابقة للحوار البينذاتي وشرط لازم لها وحاول **هابرماس** أن يجمع بين الأخلاق النظرية ومبدأ التواصل الشفاف ، فالعقل

التواصلي بوصفه قدرة بين الأشخاص عامة بحسب قواعد شافة وحيادية ، هو الذي يسود مقاربة هابرماس وهي ترجع إلى معايير التعميم الكلي للخطاب والذي يتيح بلوغ حقل الأخلاق النظرية[12].

وبما أن التواصل يمثل "نشاط تبادلي وعلائقي، فإنه يتم بصور شتى كالأصوات والإشارات والصور، لكن يبقى التواصل اللغوي أرقى أنواع التواصل، ومن هنا تطرح الطبيعة الاتيقية للتواصل أو لنقل من هنا نصل إلى بعث اتيقا معينة للتواصل مادامت رسائل التواصل المتبادلة بين المرسل والمتلقي، رسائل غير بريئة ... وبالمقدار نفسه أداة للصراع والخصام . [13]

إن الحوار لا ينبغي أن يكون ترفا زائدا مخصصا للمنتديات والمؤتمرات، فعليه أن يتحول إلى حاجة أساسية لا تهم فقط العلاقات بين الحضارات والشعوب والدول بل تشمل المجتمعات من داخلها، فمن العبث التفكير في حوار الثقافات إذا لم يكن هناك حوار داخل الثقافات والديانات والمجتمعات، من المهم في الحياة اليومية محاورة الذات ومساءلتها من جهة وفتح الحوار بين أفراد المجتمع ومكوناته الثقافية والسياسية من جهة أخرى. وبهذا يتحول الحوار إلى سلوك يومي يقي المجتمعات من التعصب ويحول دون اللجوء إلى العنف لتسوية الاختلافات. و ينطلق هابرماس

ويعرف **هابرماس** بقدر ما اهتم بإشكالية الحقيقة داخل تصوره العام لمسألة اللغة والتواصل بقدر ما حاول الاقتراب من ضوابط الحوار وأخلاقياته وذلك في إطار اهتمامه الأساسي بمسألة الكلام واللغة العادية والمناقشة ومن أجل الكشف عن مستويات امتلاك الحقيقة من خلال النقاش وأخلاقياته وتقييم مختلف النظريات التي حاولت معالجتها وتحديدها، قد انطلق **هابرماس** من بعض اللسانيين وفلاسفة اللغة ولاسيما **جوناوستين JOHN Austin**. **وجون سيرل**J Searle و **كارسكي Paul Grise**[14]و يعنى هذا الميدان في أساسه بدراسة اللغة لدى منتجيها واستراتيجيات تأويلها من طرف المتلقي عبر عمليات استدلالية ومنطقية تخضع للخلفيات الاجتماعية والمعرفية والثقافية للمستعملين .

وتمثل أخلاقيات المناقشة[*]عند هابرماس شكلا من أشكال التحرر من التشويه والوقاية منه وهي " تهدف إلى تحديد الافتراضات التداولية للغة ، والى إبانة شكل التأسيس البينذاتي، أو العقلي للمعايير الأخلاقية المختلفة"[15].

وتضمن أخلاقيات الحوار أيضا الوصول إلى فهم مشترك وبقدر ما تمثل ايتيقا النقاش ذلك البعد القبلي فهي "تقوم بشرح المضمون المعرفي –الإدراكي لمنطوقاتنا الأخلاقية ، دون الرجوع إلى انتظام أخلاقي بديهي ومعروف مشكل من وقائع أخلاقية يمكنها أن تكون في متناول الوصف .

لذا فإنه لا ينبغي الخلط بين المنطوقات الأخلاقية التي تبين ما ينبغي علينا فعله ، وبين المنطوقات الوصفية التي تحصر مهمتها بتبيان الطريقة التي نرى بموجبها الأشياء كما تبدو في علاقاتها المتشابكة[16]. وهذا ما نجده مع **هابرماس** فقد ميز بين الأخلاق النظرية ETHICS والتي تعني في لغة **هابرماس** الاختيارات القيمية الذاتية للحياة المشخصة ، تقابل المقومات الوجودية بأكثر من المنظورات الكلية والأخلاق عملية MORAL والتي تعتمد على قواعد منطلقة من الواقع .

على هذا الأساس تعد معايير اتيقا النقاشية منفصلة عن الجانب المادي وهي تشكل شرعية إلزامية ، " فلا يؤثر المجال الواسع للتنوع الثقافي والتاريخي للسلطات الخطابية ، المتوفرة في لغات فردية ، على حقيقة حصول المشاركين في نشاط ذو مستوى متميز من التواصل اللغوي ، على حرية الإجابة ب "نعم " أو "لا " على مطالب مشروعة .

يقول **هابرماس** : " إن عملية الوصول إلى الفهم هي عملية تحصيل الاتفاق على أساس قبلي يتمثل بادعاءات الصلاحية والتي تعترف بها الأطراف المشاركة وذلك بدءا من أرضيات مشتركة لتفسيرات مسلم بها من المشاركين في الحوار، وبمجرد إثارة الشك بخصوص هذه المشتركات أو ادعاءات الصلاحية الأربعة (الحقيقة والصحة والصدق والمصداقية – اللغوية) فإن الفعل التواصلي لا يمكن له أن يستمر[17] .

ومنه تشكل الأطر السابقة للتجربة التواصلية معيار شرعية الخطاب من عدمه ، وبالتالي هي تشير إلى نوع من العقد الذي يستخدم :" للتأكيد على المشاركين في التلفظ ، يجب عليهم أن يقبلوا بشكل ضمني عددا محددا من المبادئ التي تجعل التخاطب ممكنا وعددا من القواعد التي تسيره ، الأمر الذي يستلزم أن يعرف كل واحد حقوقه وواجباته وكذا حقوق وواجبات الآخر، إن مفهوم العقد يفترض مسبقا أن الأفراد المنتمين لنفس السلك من الممارسات الاجتماعية قادرون على الاتفاق حول التصورات اللغوية لهذه الدراسات [18].

مستويات اتيقا النقاش : مستويات النقاش تتجلى في مستويين محددين هما :

المستوى الأول : مستوى افتراضات انطولوجية

ويقصد به أنني إذا لاحظت واقعة ما، فإنني افترض وجود عالم موضوعي، وعندما أفصح عن شعور معين فإنني افترض وجود عالم ذاتي خاص بي، وإذا ما راعيت معيارا ما فإنني بالتأكيد افترض وجود عالم اجتماعي، يجب مراعاته بهذه المعايير .

المستوى الثاني : مستوى الافتراضات الاكسيولوجية (القيمية):

وهو أكثر شمولا، مستوى الافتراضات الاكسيولوجية (القيميه) التي يمكن للتأمل أن يبلغها من خلال ممارسته لتجربة " التناقضات التداولية أو الأدائية، إذ توجد بعض الأشياء لا يمكنني تأكيدها ولا نفيها في مستوى منطوقاتي دون أن أناقض هذه المنطوقات ذاتها ، ولا داعي لأذكر بالمفارقة القائمة من الصدق المعاكس للكذب والحقيقة المعاكسة للريبية أو الشكية ، والصحة ومعاكستها للخطأ وتلك القيم يجب أن يؤسس لها حسب آفاقها الخاصة بنوع من القبلية بمعية الافتراضات الانطولوجية في المستوى الأول[19]. ويتحقق معنى التناقض الأدائي من خلال عدم قيام الشخص المشارك في الحديث بإنجاز عمل يناقض بين أركان ايتيقا النقاش (الصدق ، الحقيقة ، الصحة) المنعكسة على الفعل الكلامي .

من هذا نجده يؤكد على أهمية الأخلاق في العالم المعيش[*] من أجل تطهيره من كل الهزات والأزمات التي من شأنها أن تشوه عمليات التواصل وبالتالي لا يمكن علاج انعزالية الحياة اليومية ، وما يترتب على ذلك من فقر ثقافي و حضاري إلا عن طريق الأخلاق التي هي مقياس تحضر الشعوب.

وبالتالي نجد أخلاقيات الحوار ليست مذهبا ولا نظرية أخلاقية بقدر ما هي عبارة عن منهج ومجموعة من الشروط التي متى توفرت وتم احترامها تؤدي إلى تحقيق الاتفاق ضمن المجموعة التي يجري فيها النقاش . من المبادئ الكونية للنقاش التي من خلالها يمكن الجمع بين المواطنين العالميين المتجاورين لأجل خدمة الإنسانية بصفة عامة ، وليس لأجل تحقيق أهداف فردية " انه قلب المسار الديمقراطي[20]"، " انه نمط الإجراء الذي تحدده سياسة النقاش "[21]

افتراضات منظومة النقاش: وتعتبر هذه الافتراضاتمنبثقة عن دمج المستويين السابقين :

01 . أول هذه الافتراضات **المعقولية Intelligibilité**و تعتبر المعقولية أهم شرط للتواصل والتي تعتمد على انجاز جملة مركبة تركيبا صحيحا باحترامها قواعد اللغة فهي مرتبطة بالجانب اللغوي وسلامة اللغة المستعملة في إطار التواصل وتظل سارية المفعول وقائمة لطالما أنها تستوفي قواعد اللغة التي يجري بها النقاش ، وهذا الافتراض لا يتعلق بأي ادعاء سابق للصلاحية ويعتقد **هابرماس** أنها أحد الشروط الدائمة لفعل التواصل وهي لا تنحصر في قول يدعي صلاحية ما أو تتضمن إمكانية للتبرير .

02 . ثاني هذه الافتراضات، **الحقيقة Vérité** : وهذاالشرط هو الثاني وهو الأساسي في أخلاقيات النقاش وهي المتضمنة في القول وهنا يجب أن يشير القول إلى واقعة موجودة فهي تعكس واقعة موجودة فعلا وغير مستوحاة من الخيال وبالتالي هذا الافتراض عند **هابرماس** يقتضي تطابق القول مع الواقع أي تقرير ما هو موجود بالفعل، ولا ينبغي أن يكون القول مجرد صورة من الخيال لا أساس له من الصحة ولا تربطه أية علاقة مع الواقع لأنه لو حدث ذلك يحدث الإضراب في النقاش وينتج عن هذا الاضطراب تواصلا مشوها مرفوضا في أساسه .

03 . الافتراض الثالث هو **الصحةJustesse** : وهو "خضوع التلفظ البينذاتي إلى معايير منتجة من قبل المجتمع بإجماع سابق ، معترف به وشرعي"[22] والمصداقية هي عبارة عن شرط آخر من غيره لا يستقيم الموقف الخطابي المثالي، خاصة أنه يتعلق بالجانب اللفظي القولي الذي بموجبه يمكن إقامة علاقة مستقيمة بين الأشخاص ويتكفل هذا الإدعاء بموضوع تطابق الفعل اللغوي مع مقتضيات مخطط معياري سابق معترف به من طرف المجتمع ويمتاز بشرعية معاييره .

04 . والرابع هو الافتراض **الصدق Sincérité** : وهذا الافتراض يرتبط بنوايا المتحدث التي يفترض أن تكون سليمة وحسنة أو هي ما يسمح به للتعبير عن نوايا المتكلم وبطريقة صادقة وبعيدة عن التضليل والكذب من دون سفسطة[23] وبالتالي يقتضي عدم الشك في إخلاص الذوات المهتمة بموضوع المناقشة والهدف يجب أن يكون صادق ونبيل وليس التمويه وتحرف المناقشة عن مسارها الحقيقي .

يعتقد **هابرماس** أن هذه الادعاءات هي ملازمة لفعلنا الخطابي ، كلما تلفظنا داخل عملية تواصلية " فهي ادعاءات تحضر بصورة ضمنية في تفاعلنا اليومي " فنحن " نطرح في كل تواصل لغوي أربعة ادعاءات شرعية إما مفردة أو مجتمعة : أولها أن ما نقوله يمكن فهمه ،

وثانيها أن ما نقوله حقيقي ، وثالثها أن ما نقوله صائب أو صحيح ورابعها هو تعبير صادق عن مشاعرنا "[24]. وهذه الشروط الأربعة التي سبق ذكرها تمثل حالة مثالية لا يمكن أن تؤثر فيها عوامل أو عقبات داخلية أو خارجية من شأنها أن تغير مسار التواصل.

إن هذه الافتراضات لصلاحية الحوار عبر ممارسة تواصل صحيح وسليم غير مشوه ، تفترض مجتمعا مثاليا كما قلنا من قبل وتستطيع أن تنسق الفاعلية التواصلية فيه بصورة خالية من التشويه والتحريف وما نجده أن الحوار الذي أراد **هابرماس** أن يقدمه فهو يأخذ صورة مثالية نحو إيجاد ذلك البعد النظري الأخلاقي الذي يستطيع أن يحكم التواصل في الحياة الاجتماعية ويطلق على هذه الافتراضات الحالة المثالية للكلام أو هي بمثابة الشروط الصافية للنقاش وهي صورة المجتمع الذي يتواصل فيه أعضاؤه بطريقة سليمة ويمكن إجمالا اعتبارها شروطا لا يستقيم من دونها التواصل .

وبصفة عامة يمكن إجمالا قبول هذه الافتراضات مادام التواصل يجري بدون تصادم متبادل بين الأطراف المشاركة في الفعل التواصلي، "إذ يصبح معيار صحتها قرينا بالافتراض المتبادل وتحاكي هذه الافتراضات الأربعة (المعقولية – الحقيقة – الصحة – الصدق) بالنسبة إلى **هابرماس** حالة مثالية في الكلام لا يعترض فيها التواصل تدخلات خارجية أو عقبات داخلية تمس بتنظيم التواصل "[25] .

إن الحوار المثالي هو مجال البينذاتي خالص ، وحينما لا توجد قيود أو حدود تعرقل التواصل الحاصل من الحوار المثالي ، فإن الاتفاق الجماعي العقلاني الحر يتحقق، "إن هذا الإتفاق يشكل قاعدة ضد كل ادعاءات الصدق التي يجب قياسها وهو ما أصبح حجر الأساس الذي به يمكن أن نحكم على المواقف وادعاءات أطراف الحجاج وما إن يحصل نوع من القهر أو الهيمنة على هذا الاتفاق فان التواصل السليم ينتفي"[26] .

يتجه الفعل التواصلي حسب إتباع المعايير الجاري العمل بها بينذاتيا خاصة ، وترتبط هذه المعايير بتوقعات تكاملية للسلوك : يفترض الفعل التواصلي الكلام كقاعدة للصلاحية ، إ"ن المقتضيات الشمولية للصلاحية (الحقيقة الصحة والصدق ، المعقولية) التي يطالب بها المنخرطون في فعل تواصلي ضمنيا على الأقل ، ويعترفون بها بصورة متبادلة تجعل التوافق الذي يعتمد عليه الفعل الجماعي ممكنا"[27].

يمكن قراءة الفعل التواصلي على أنه الكيفية التي تتم فيها معالجة الحقيقة عندما لا يمكن أن تباح هذه الأخيرة أبدا من قبل سلطة عليا، وعندما نعلم كل ملفوظ énoncé يخضع حتما لسياقات محددة، يتطلب ذلك المرور إلى نظرية تتعلق بصلاحية validité أو مقبولية الملفوظات .

لذلك تقترح النظرية الفاعلية التواصلية ، تناول الحقيقة كسيرورة لتبادل الحجج تتم حسب افتراض يتعلق باتفاق اجتماعي وهو افتراض موجود في بنية اللغة نفسها ، تلك هي أخلاق المناقشة[28]. والمهم هو الأداء أو الفعل الخطابي الموجه نحو الآخرين للفهم فإن الأشخاص الذين يشاركون في التفاعل التواصلي ينسقون مشاريعهم بالاتفاق فيما بينهم .

الأمر الذي دفع **هابرماس** إلى تبني فرضيات علم التداول اللغوي لتثبيت أهلية فعل التواصل على الفعل الأداتي ، فاللغة كخزان لمجمل تجارب من سبقونا بإمكانها أن تكون مثلا نقيس به الأشياء والمهم هنا "إن فكرة التواصل تنبع من اللغة، أي لغة تقدم البرهان ، والقناعات لا تقبل إلا بمقدار ما تقدم برهانها "[29]. فاللغة عند **هابرماس** لها دورا أساسيا باعتبارها أساس للتواصل بين الذوات فهو لا يهتم باللغة في سياق التداوليات الكلية، من زاوية اعتبارها نسقا من الرموز له تركيبه النحوي و معجمه وصوتياته أو له خصائصه الدلالية و تمظهراته اللغوية المختلفة فقط .

لذلك فهي القسمة العادلة بين البشر، كأداة للإتصال بالآخرين ومنشأ لعملية التفاهم بينهم، فاللغة تؤدي إلى ظهور ما يدعوه **هابرماس** بالمصلحة العملية من التفاعل البشري . أي عن طريق تأويل أفعالنا تجاه بعضنا البعض وفهمنا لها، والسبل التي تتفاعل بها في إطار التنظيمات الاجتماعية، "وهذه المصلحة تنمو وسط تفاعل يهدف إلى الكشف عن عمليات التشويه والاضطراب والبلبلة التي تؤدي إلى سوء الفهم"[30]، حيث اعتبر أن اللغة تلعب دورا أساسيا في الفعل التواصلي باعتبارها أداة تواصل بين الذوات .

إن اللغة هي وسيط التواصل بامتياز، فهي ليست بهذا الوصف مجرد قواعد نحوية تحكم المفردات وآليات الجمل ، وإنما تكفل التواصل عبر الحوارية وتسهل الوصول إلى حقائق متفاهم عليها بين الناس، وتخرج عن كونها حاملة لأخبار أو ناقلة لأفكار فالتواصل فيها يحتوي الإتصال، أي أن كل الأطراف المحاورة تجني في حوارها تبادل الرمز وتستعرض الحياة على نحو متفاعل أي أنها في الأخير تحقق آليات

الإندماج والتواصل في المجتمع باعتماد شروط البرهان[31] . والحوار هنا في سياقه الاجتماعي هو عبارة عن أداة لفك المجتمع من الانعزال ويعتبر كذلك عنصرا لتحقيق الاندماج الاجتماعي بين أعضائه دون عنف ولا تطرف ويكمن دور الحوار في المجتمع بفتح باب المشاركة بين أعضائه في تحليل مظاهر الأزمات التي يجتازها .

وبالتالي التفاهم عند **هابرماس** هو عبارة عن الإتفاق الذي يحدث بين المشاركين في الفعل التواصلي أي أن التفاهم يحيل إلى اتفاق مبرر عقليا بين الذوات القادرة على الكلام والفعل للوصول إلى إجماع ولتحقيق هذا فإنه يكون على ثلاث مستويات التي يكون على كل مشارك في التفاعل أن يحترمها لتحقيق غرض الفهم .

لهذا فإن المستمع يفهم التعبير أولا، أي يدرك دلالة ما يقال، ثم يتخذ هذا المستمع موقفا بالإيجاب أو بالسلب بالقياس إلى ادعاء معلن مع فعل الكلام ثانيا، أي أنه يقبل أو يرفض العرض الذي يقترحه فعل الكلام ، ونتيجة اتفاق ما يوجه المستمع فعله حسب المتطلبات القائمة بشكل توافقي ثالثا[32].

من هذا نجد أن الفهم لن يتحقق إلا بوجود المستويات الثلاث الوعي أن يفهم المستمع الكلام فهما جيدا مما يجعله يدرك دلالته وأن يتخذ موقفا إما أن يقبله أو يرفضه (إيجابا أو سلبا) وفي الأخير يقوم المستمع بإنجاز الفعل بشكل يتوافق مع فعل الكلام . فالهدف من التفاهم هو الوصول إلى نوع من الاتفاق بين الذوات يؤدي إلى تقارب وجهات النظر والآراء فيرى " إن التفاهم هو العملية التي من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس المفترض لادعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك " [33]

وما نصل إليه أن اللغة عند **هابرماس** تشكل نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير يكون صحيح ويعبر عنه بشكل واضح يعتبر عنصرًا من عناصر اللغة ، ومن ثمة فإن الذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عملية الحوار وبذلك نؤسس التواصل .

شروط الحوار عند هابرماس :

- لا يتم الفعل التواصلي إلا من خلال التفاعل الذات مع الذوات الأخرى أي الحوار يكون بين تفاعل شخصين أو أكثر داخل العالم المعيش وبالتالي من حق كل فرد له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في هذا التفاعل على أن يكون يتحلى بالصدق المتفق عليه .
- أن تتفق عملية التواصل من خلال اللغة التي من خلالها سوف يجري الحوار وتبنى العلاقة بواسطتها في بناء تفاعل الفعل التواصلي أي بين العالم الخارجي وبين الذوات الأخرى من خلال اللغة التي هي الشرط الأساسي التي يقوم عليها الفعل التواصلي ومن خلاله يتم الوصول إلى نوع من التفاهم .
- مصداقية مقاصد المعبر عنه أو إخلاصها فإذا شكك أحد المشاركين في التواصل والدقة المعيارية لتعبير ما فإن مزاعم الصدق نفسها تصبح موضوع سؤال وربما يختل التواصل وبالتالي لابد للمشاركين في التواصل من إعادة مراجعة لتصحيح هذه الأخطاء تسمى هذه العملية إن العملية التواصلية تخضع لما يسمى بديمقراطية الحوار .
- أن يتحرر الحوار من كل إشكال الضغط والقهر التي يمكن أن تمارس عليه من الخارج ، أي أن يكون حوارا حرا يجري بين أفراد المشاركين في الحوار وفي نفس الوقت تكون متكافئة في المكان والمستوى لضمان موقف مثالي للحديث .
- المشروعية المعيارية للقول أو التعبير أي أنه يجب أن تتاح لكل شخص مشارك في الحوار فرصة للحوار وأن يتمتع كل المشاركين بحق التأكيد أو الدفاع أو التساؤل حول ما يراه من قبول أو رفض لمزاعم الصدق وفق المعايير المعترف بها .

يعتبر **هابرماس** أن هذه الشروط لا غنى عنها للإنخراط في الفعل التواصلي بغية تحقيق التفاهم بين الأطراف أو الذوات المشتركة فيه[34]، غير أن هذا الأمر نادر في معظم الأحوال فالكثير من التعبيرات فيها الكثير من الأكاذيب والمغالطات إذ يعتقد **هابرماس** أن الإنحراف عنها يفترض وجودها وهي الشروط الأساسية للحوار والمناقشة التي تضمن تحقيق تواصل غير مشوه .

فهدف **هابرماس** أن يبين أن على الأشخاص المشاركين في الحوار البينذاتي وبقبولهم بإتيقا المناقشة أن يجعلوا الممارسة التواصلية في إنتاج المعايير، تتسم بالكلية، فيأخذ أحدهم دور الآخر كمستمع ومتكلم وملاحظ وغائب يحتمل قوله في رفض أو تأييد موضوع النقاش وأخلاقيات النقاش هذه هي الوحيدة التي تستطيع ضمان كلية وشمولية المعايير من جهة واستقلال الذوات الفاعلة من جهة أخرى .

وذلك من خلال الإمكانية التي تمنحها هذه الاتيقا للبرهنة على صحة الدعاوى التي تقدمها المعايير لأنها تدعي الصحة التي وافق عليها الجميع وذلك لأن النتيجة ستكون تكوين نظري لإرادة عامة منبثقة عن النقاش الخاضع لهذه الاتيقا والأخلاق التواصلية هنا شاملة لأنها تُخضع لكل الجزئيات لها وكذلك هي وحدها التي تؤمن بالاستقلال الذاتي [35] .

خصائص اتيقا النقاش :

نجد أن **هابرماس** وضع خصائص اتيقا النقاش فنجده يقول: "حاولت في أطر نظرية الفعل التواصلي إرساء معقولية سلوكية ، مفادها أن شخصا معينا ومهما يكن محيطه الإجتماعي ولغته وشكل حياته الثقافية فانه ليس بمقدوره عدم الإنخراط داخل الممارسات التواصلية ومن ثمة لم يكن في مقدوره كمحصلة أن لا يبدي اهتماما ببعض الافتراضات التداولية ، التي نعتقد بأنها ذات منحى عام "[36] وهذه ميزة اتيقا النقاش وهي :

1- إنها عامة وليست خاصة ومتعالية وقسرية لأي نوع من أنواع الحوار .

2- هي لازمة لآليات كشف الحقيقة في العالم الموضوعي .

3- وهي لازمة الافتراض، إذ لا تواصل سليم بدونها ولا يمكن لهذه الإفتراضات فهي متعلقة بنشاط الفعل التواصلي والتي لا يمكن مجاوزتها .

4- كما تشكل ضرورة لعمليات التعبير، والتزام الصدق الذاتي للمتكلم .

5- تعتبر ضرورية لصنع المعايير، وإخضاعها للفحص، الشامل والمتكرر .

6- تقوم على البعد اللغوي كأداة، ومادة موضوعية، لذلك فهي تبحث في ما يمكن أن تنتجه اللغة من فعل حسب ضوابطها[37] ، فاللغة هي فحوى التواصل فهي تؤدي وساطة لتفاعل اجتماعي فالتواصل يأخذ مكانا داخل مجال اللغة ولا نستغني عن دورها التواصلي فهي بمثابة الأساس لعملية الفعل التواصلي .

فأخلاقيات الحوار هي البرنامج المحوري لفلسفة **هابرماس**، يفترض كتاب " نظرية الفعل التواصلي وجود أخلاقيات التواصل بينما يسلم بها ولا يوجد أي عمل كبير عن أخلاقيات الحوار التي تتناول النظرية الاجتماعية والسياسية ومع ذلك فأخلاقيات الحوار هي الأساس المعياري لفلسفة **هابرماس** وهي التي تطور الأفكار المميزة للعلانية والشمولية والمساواة والتضامن والعدالة واعتبر الحوار الأخلاقي أنه يهتم بالسعادة الفردية وصالح الجماعات وعلى تفسير للقيم [38].

الخاتمة :

بعد أن عرفنا غاية الحوار عند **يورغنهابرماس** يتبين لنا مدى أهميته في الفضاء العمومي الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة وهذا نتيجة وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة وصلت إلى جملة من النتائج :

01 . أن أخلاقيات الحوار تمثل أخلاقاً عامة كلية تهدف إلى تحقيق التفاهم بين البشر. وفعل الحوار يمثل الفعل الرئيسيوالأساسيفي تحقيق اتفاق وإجماع حقيقي بين المشاركين في فعل التواصل.

02 . فلسفة الحوار هي ظاهرة إنسانية لا تخلو منها مجتمع من المجتمعات بل عالمية.

03. الحوار الصحيح يكون قصد تبني الآخر واحترامه وعدم إقصائه، فالحوار يؤدي إلى ضرورة احترام الغير دون عنف بل وسط تفاهم .

04- للحوار ضوابط مشروعة وهي الصحة العامة وهى الصدق والصحة والإخلاص والمفهومية ركائز أساسية فيأي فعل للكلام وشروطاً أساسية ومبادئ يجب اتباعها لتحقيق فعل كلام ناجح، وبالتالي تحقيق تواصل مثمر. ويتجلى بوضوح البعد الأخلاقي والقيمى من خلال الدعوة إلى قيم وفضائل الصدق والصراحة والثقة والأمانة، لأن هذه القيم هامة في بناء أي مجتمع.

الهوامش:

** أصله من الحور، وهو الرّجوع عن الشّيء إلى الشّيء.يقول ابن منظور:" الحَوْر: هو الرجوع عن الشيء إلى الشيء.. والمحاورة: المجاوبة، والتّحاور التّجاوب، والمحاورة: مراجعة المنطق، والكلام في المخاطبة " ، و الحوار اصطلاحا هو المراجعة في الكلام ومنه التحاور ، وهو ضرب من الأدب الرفيع وأسلوب من أساليبه انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة النظر، دار صادر-بيروت، ط1، ص 215-119.

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، دار التنوير، بيروت، ص: 244 .

2. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الاخلاق والتواصل المرجع السابق ، ص: 251 .

3. وفي حالة التفصيل بين الأخلاق و الأخلاقيات نجد الأولى نظرية والثانية عملية وفي حالة الحفر في الجدر اللغوي نجد لفظ الأخلاق في الانجليزية ETHIC وهي من ETHICOS المشتقة من ايتوس اليونانية ETHOS و معناها الأخلاق أما لفظ الثاني فهو لاتيني MORAL المستمدة من كلمة مورس MORES وتعني الآداب. انظر أندريه لالاندموسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، منشورات عويدات، ط2 ، بيروت ،2001ص، 370-371.

4. كارل أتو أبال ، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة عمر مهيبل، المركز الثقافي العربيالمغرب،ط1، 2005،ص:37 .

5. جيمس جوردن فينليسون ، يورغن هابرماس ، تر احمد محمد الروبي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ط1، 2015 ، ص 103.

6. *التواصل يقابله في اللغة الفرنسية continute ويتضمن مفهوم أخر يتقارب معه وهو مفهوم الاتصال communication ولابد للإشارة هناك إشكال لغوي بين المصطلحين التواصلي والاتصالي وفي الفرنسية فإن مصطلح التواصل يعرف ب communication ويعني إنشاء علاقة مع الأخر و إيصال شيء معين.انظر عمر مهيبل : اشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2005 ، ص 15

7. محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، منشورات دفاتر فلسفية، ط1 ، 2006، ص: 33 .

8. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق ص:258.

9. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل المرجع نفسه، ص:262 .

10. حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية ، المركز الثقافي العربي ، دط ، 2005 ، ص:174 .

11. يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل ، المانيا ، ط1 ، 2003ص:75 .

12. جاكلين روس ، الفكر الأخلاقي المعاصر ، ترعادل العوا ، بيروت ، ط1 ،2001 ، ص 50

13. يورغن هابرماس ، اتيقا المناقشة ومسالة الحقيقة ، تر عمر مهيبل، منشورات الاختلاف ،ط1 ، 2010 ص 8-9

14. محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية ، نموذج هابرماس ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط2، 1998 ، ص 82

*إن المناقشة discussion هي نوع من التحاور بين شخصين أو طرفين ولكنها تقوم على استقصاء الحساب ، وتعرية الأخطاء وإحصائها ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة احد الطرفين فقط ، الذي يستقصي محصيا ومستوعبا كل ما له على الطرف الآخر.انظر الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، دار قتيبة ،ط1 ،1418هـ،ص22 .

15. يورغن هابرماس ، اتيقا المناقشة ومسالة الحقيقة ، تر عمر مهيبل ، المرجع السابق، ص 14-15

16. المرجع نفسه ، ص 62

17. المرجع نفسه ، ص 200

18. دومنيك مانغونو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ، لبنان الجزائر ، ط1 ،2008 ، ص 30

19. جان مارك فيري ، فلسفة التواصل ، تر عمر مهيبل ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف والمركز العربي، لبنان الجزائر ط1، 2006 ، ص 71-72 .

*يعتبر **العالم المعيش** من المفاهيم الملازمة للعقلانية التواصلية وهو المفهوم الذي انشغل به **هابرماس** طيلة كتاباته إلى حد أنه خصص له عملا مستقلا بذاته " التغيرات الهيكلية للمجال العام 1962.

20. Habermas : Droit Et Démocratie (Entre Faits Et Normes), Traduit Par Raine. Rochlitz Et Christian Bouchindhomme, Gallimard, Paris, 1997, , p. 320

21. Ibid, p.320.

22. علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ،هابرماس أنموذجا ، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ،الجزائر، ط1، 2011 ص 203

23. حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت ، النظرية النقدية التواصلية ، المرجع السابق ، ص 146

24. الن هاو ، النظرية النقدية ، تر ثائر ديب ، دار العين للنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ب د ، 2010 ، ص 231

25. حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت ، النظرية النقدية التواصلية ، المرجع السابق ، ص 149

26. علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ، المرجع السابق ، ص 207

27. يورغن هابرماس ، بعد ماركس ، تر محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر ، سوريا ، ط1 ، 2002 ، ص 46

28. جاك دريدا وآخرون ، مسارات فلسفية ، تر محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر ، سوريا ، ط1 ، 2004 ، ص 158

29. حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت ، النظرية النقدية التواصلية ، المرجع السابق ، ص 67

30. ايان كريب ، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، تر محمد حسين غلوم ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، 1999 ، ب د، ص 348

31. حسن مصدق ، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت ، النظرية النقدية التواصلية ،المرجع السابق ص 143

32. محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، إفريقيا الشرق ، لبنان ، ط2 ، 1998 ص 193

33. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل ، المرجع السابقص 153

34. عبد الغفار مكاوي ، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت ، جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب ، 13 رسالة ، 1993 ، ص 94

35. علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ، المرجع السابق ، ص 205

36. يورغن هابرماس، اتيقا المناقشة ومسالة الحقيقة، تر عمر مهيبل، المرجع السابق، ص30

37. علي عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل ، المرجع السابق ، ص 207

38. جيمس جوردن فينليسون ، يورغن هابرماس ، المرجع السابق ، ص 145